

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن الكريم

المرحلة **الثانية**

السيرة النبوية

الدكتور: أحمد فرج

وقد عاش (صلى الله عليه وآلها) مع خديجة (عليها السلام) ما يقارب الخمس وعشرين عاماً .

أدوار الدعوة ومراحلها :

***العهد المكي ومراحله**

يمكن أن نقسم عهد الدعوة المحمدية إلى دورين يمتاز أحدهما عن الآخر تمام الامتياز وهما :

١- الدور المكي : ثلاثة عشرة سنة تقريباً.

٢- الدور المدني : عشر سنوات كاملة .

*بعث الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) وكان له من العمر أربعين عاماً .

الدعوة في مراحلها ، التي اجتازتها :

ويرى البعض : أن الدعوة قد مررت بمراحل أربع :

الأولى : المرحلة السرية ، واستمرت ثلاثة أو خمس سنوات .

الثانية : الإعلان بالدعوة إلى الله بالقول فقط ، دون اللجوء إلى العنف ، واستمرت حتى الهجرة .

الثالثة : مرحلة الدفاع عن الدعوة بالسيف ، واستمرت إلى صلح الحديبية .

الرابعة : قتال كل من وقف في سبيل الإسلام ، من الوثنيين والمشركين ، وغيرهم ، وهو ما استقر عليه أمر الدعوة وحكم الجهاد .

المرحلة السرية :

ولكننا لا نوافق على استعمال مصطلح « الفترة السرية » هنا إذ أن الظاهر هو أن النبي « صلى الله عليه وآلها » لم يكن حينما بعث مأمورة بدعاوة عموم الناس كما قدمنا ، ولكنه كان يعرض هذا الدين بصورة طوعية وغفوية ، وبدون أن يوجه الأنظار إلى ذلك ، فكان هناك أفراد يسلمون تباعاً .

وقد كان هذا الأسلوب في تلك الفترة ضرورياً من أجل الحفاظ على مستقبل الدعوة ، حتى لا تتعرض لعمل مسلح يقضي عليها في مهدها ، حيث لا بد من إيجاد ثلاثة من المؤمنين ، ومن مختلف

القبائل يحملون هذه العقيدة ويدافعون عنها ، حتى لا يبقى مجال لتصفيتهم السريعة والحادسة من قبل أعدائهم .

كما أنه « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » أراد أن لا تهدر الطاقات ، وتدبر الجهد سدى ، وينتهي الأمر إلى تعزق ، وتوزع في ثلاثة المؤمنة ، ثم إلى ضياع مدمرا .

وأيضاً ؛ فقد كانت هذه الفترة بمثابة إعداد نفسي ، وتربيـة عقـيدـية وروـحـية لـتـلكـ الصـفـةـ المؤـمـنةـ بـربـهاـ ، وـبـرـسـالـةـ نـبـيـهـ الـأـكـرمـ « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » ، تـمـكـنـهـمـ منـ الصـمـودـ فـيـ وـجـهـ التـحـديـاتـ الـتـيـ تـنـتـظـرـهـمـ .

وإذا كان « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » يريد : أن يقود عملية تغيير شاملة ، فلا بد له من إتاحة الفرصة لتهيئة وإعداد القوى ، التي تستطيع أن تحقق هدفاً كبيراً كهذا ، وتمكن من الحفاظ والاحتفاظ بالوجود الفعال والمؤثر في بقاء ذلك الهدف .

النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في دار الأرق :

قال المؤرخون : ولما صار عدد المسلمين ثلاثة في مكة - كما قيل - وصار بعض المسلمين يخرجون إلى الشعاب والجبال خارج مكة لأداء الفرائض ، وإقامة الشعائر ، وصار بعض المشركين يتربصون بهم ، ويتعمدون إيذائهم ، وحصلت صدامات فردية لهم معهم اختيار دار الأرق ، الواقعة على الصفا ليجعلوها مركزاً لدعوته ، ومحلاً لاجتماع أصحابه به ، ثم الابتعاد عن أنظار المشركين في عبادتهم وشعائرهم ، بدلاً من الخروج إلى الشعاب من أجل الصلاة .

فكانـتـ هـذـهـ الدـارـ هيـ مرـكـزـ حـرـكـتـهـ وـنـشـاطـاتـهـ وـبـقـىـ فـيـهاـ شـهـراـ وـلـمـ يـخـرـجـ مـنـهاـ حـتـىـ تـكـامـلـ الـمـسـلـمـونـ أـربعـينـ رـجـلـاـ كـمـاـ قـيـلـ ، وـقـيـلـ : أـكـثـرـ ، وـقـيـلـ : أـقـلـ ، وـحـيـنـئـ خـرـجـ « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » ليعلن دعوته ، ولـيـبدأـ مرـحلـةـ جـديـدةـ هـيـ أـصـعـبـ مرـحلـةـ ، وـأـخـطـرـهاـ ، وـأـكـثـرـ عـنـفاـ ، وـأشـدـ بلـاءـ .

الدعوة العلنية ومواجهة قريش :

بداية الدعوة العلنية :

بعد مدة من بدء الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) للدعوة السرية إلى الإسلام ، وبعد بناء القاعدة الصلبة للدعوة المتمثلة بأولئك الرؤاد الأوائل من المسلمين الذين انتموا للإسلام في أيام غربته ، تلقى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أمراً من الله تعالى بالمجاهدة بالدعوة وعدم الخوف من المشركين : « فاصدّعُ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ كَفِيلَكُمُ الْمُسْتَهْزِئِينَ » .

فأظهر أمره وقال : "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ
وَلَا تَضَرُّ، وَلَا تَخْلُقُ وَلَا تُرْزَقُ وَلَا تُحْيِي وَلَا تُمْتِتُ".

ومنذ ذلك الوقت دخلت دعوة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) مرحلة جديدة ؛ إذ أخذ يدعو إلى التوحيد في التجمعات وفي موسم الحجّ في منى وبين القبائل المجاورة لمكة .

محاولات قريش (الأساليب) :

كان ردَّ فعل قريش أمام جهره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالدعوة، أن أذبوا عنه وتنكروا لدعوته خصوصاً بعدما ذكر آل هتم وعابها ، وبما أنَّ النَّظَامِ الْقَلِيلِ الَّذِي كَان سائداً فِي مَكَّةَ، كَان يَعْنِي أَنَّهُمْ لَو تعرَضُوا لِمُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لَوَاجَهُوا خَطَرَ الانتقامِ مِنْ بَنِي هَاشِمَ، لَهُذَا لَجَأُوا إِلَى المحاولات التالية، وذلك بأسلوب مُتدرج :

١. استغلال نفوذ عمّه أبي طالب وما يكتبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من احترام له لمنعه (صلى الله عليه وآله وسلم) من مواصلة دعوته، والطلب إليه بالتوقف عن سب آلهتهم وتقبیح دیانتهم.

٢ . الترغيب والترهيب : التعامل مع أبي طالب بالتهديد تارةً ، وبعرض المال والثروة والرئاسة تارةً أخرى ، وبعدما يئسوا من الحصول على النتيجة المطلوبة ، عرضوا على أبي طالب أن يعطيه عمارة بن الوليد ، وكان أجمل وأقوى وأشعر فتى في قريش ، وأن يسلّمهم في مقابل ذلك محمداً (صلى الله عليه وآله) وسلم ليقتلوه ، فرفض أبو طالب ووبخهم بقوله : " لبئس ما تسمونني عليه ، أُعطيوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم أبني تقتلونه ، هذا والله ما لا يكون أبداً " ، وجاءوه مرة وهددوه بالقتل هو وابن أخيه ، فما كان من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن قال : " والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يسارِي ، على أن أترك هذا الأمر ، حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته " .

٣ . مفاوضة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومساومته مباشرة : عن طريق إغرائه بالمال والجاه ، ولكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رفض عرضهم ؛ لأنّه لا طمع له بالمال والسلطان .

٤ . نهي الناس عن الالقاء بالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) : والاستماع إلى ما يتلوه من قرآن ، وقد تحدث القرآن عن ذلك : **«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا شَمِعُوا لَهُذَا الْقُرْآنُ وَالْغَرَا فِيهِ لَعْلَكُمْ تَغْلِبُونَ»** .

٥ . التعُرُض لشخص النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بِالإِيذَاء الْمُبَاشِرِ : فَرَجُمُوا بَيْنَهُ بِالْحَجَّارَةِ ، وَأَلْقَوُا التَّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ، وَوَضَعُوا الْأَشْوَافَ فِي طَرِيقِهِ أَمَامَ دَارِهِ ، حَتَّى قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : "مَا

أوذىنبي مثل ما أذيت .

٦ . اتباع سياسة الإرهاب والتعذيب والتنكيل بالصفوة المؤمنة ، كما حصل مع عما بن ياسر ووالديه وبلال الحبشي وغيرهم الكثير .

٧ . مواجهة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) : بالتنكيل ، والسخرية ، والاستخفاف والاستهزاء ، ورميه بأنواع التهم من قبيل ساحر ومجون ، وأنه يُفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجه ، وعشيرته ، : «وَعَجِبُوا أَنْ جَاءُهُمْ مُنْذَرٌ مُّتَهَمٌ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاجِرٌ كَذَابٌ» واتهموه بأنه يتعلم عند رجل نصراني اسمه جبر .

وقد رد عليهم القرآن بقوله تعالى: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَزِيزٌ مُّبِينٌ»

الحصار في شعب أبي طالب :

بعد مواقف الصمود تجاه قريش من قبل النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ومن معه ، قررت قريش مقاطعة بنى هاشم ، وفرض حصار اجتماعي واقتصادي عليهم ، وهو ما عُرف بحصار الشعب ، فقد اجتمع المشركون في دار الندوة وكتبوا وثيقة انفقوا فيها على البنود التالية :

١ . أن لا يُزِوجوا أحداً من نسائهم لبني هاشم ، وأن لا يتزوجوا منهم .

٢ . أن لا يبتاعوا منهم شيئاً ، ولا يبيعوه شيئاً مهما كان نوعه .

٣ . أن لا يجتمعوا معهم على أمرٍ من الأمور .

٤ . أن يكونوا يداً واحدة على محمد وأتباعه .

قدرت قريش أن هذا الحصار سيؤدي إلى أحد ثلاثة أمور :

إما قيام بنى هاشم بتسلیمهم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ليقتلوه ، وإما أن يتراجع النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عن الدعوة ، وإما القضاء عليه وعلى جميع من معه جوعاً وعطشاً تحت وطأة الحصار .

استمر الحصار ثلاث سنوات ، من السنة السادسة حتى التاسعة للبعثة ، وكان المسلمون خلاه يُنفقون من أموال خديجة وأبي طالب، حتى نفذوا واضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر ، ولم يكونوا قادرين على الخروج من شعب أبي طالب إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكانوا يشترون

حيثٌ ويبعون ضمن ظروفٍ صعبة جدًا .

وكان الإمام علي (عليه السلام) أثناء هذه المحنـة يأتـهم بالطعام سـرـاً من مـكـة من حيث يـمـكـن ، وكان أبو طالب يحرس النبي (صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـسـلـمـ) بـنـفـسـهـ ؛ خـوفـاً مـنـ أـنـ يـتـسـلـلـ أحدـ مـنـ الـمـشـرـكـينـ إـلـيـهـ ويـغـتـالـهـ عـلـىـ حـيـنـ غـفـلـةـ ، بلـ كـانـ إـذـاـ حلـ الـظـلـامـ يـنـقـلـ النـبـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـسـلـمـ) مـنـ الـمـكـانـ الـذـيـ عـرـفـ أـهـلـ الشـعـبـ أـنـهـ بـاتـ فـيـهـ ، إـلـىـ مـكـانـ آـخـرـ ، وـيـجـعـلـ اـبـنـهـ عـلـيـاـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) فـيـ مـكـانـ النـبـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـسـلـمـ) حـتـىـ إـذـاـ حـصـلـ أـمـرـ أـصـيـبـ وـلـدـهـ دـونـهـ .

وانتهى الحصار بعدما أكلـتـ الأرضـةـ ماـ فـيـ صـحـيفـةـ الـمـشـرـكـينـ الـتـيـ تـعـاـدـلـوـاـ فـيـهاـ عـلـىـ الـحـصـارـ ، وـقـيـامـ جـمـاعـةـ مـنـهـ مـمـنـ تـرـبـطـهـ بـبـنـيـ هـاشـمـ عـلـاقـاتـ نـسـبـيـةـ بـنـقـضـ الصـحـيفـةـ ، وـبـذـلـكـ عـادـ بـنـوـ هـاشـمـ إـلـىـ مـساـكـنـهـ .

عام الحزن :

في السنة العاشرة للبعثة ، وبعد خروج بنـيـ هـاشـمـ مـنـ الـشـعـبـ بـمـدـدـ قـصـيرـةـ ، ثـوـقـيـتـ خـدـيـجـةـ ، وـبـعـدـهـ بـمـدـدـ قـصـيرـةـ ثـوـقـيـأـبـوـ طـالـبـ وـكـانـ لـهـ مـنـ الـعـمـرـ ثـمـانـيـنـ عـامـاـ ، فـعـظـمـ ذـلـكـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـسـلـمـ) وـاـشـتـدـ حـزـنـهـ ، وـبـوـفـاةـ هـذـيـنـ الـشـخـصـيـنـ الـذـيـنـ كـانـاـ عـضـداـ وـحـرـزاـ وـنـاصـراـ حـيـنـماـ تـتـابـعـتـ عـلـيـهـ الـمـصـائبـ .

فـخـدـيـجـةـ بـالـنـسـبـةـ لـنـبـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـسـلـمـ) كـانـتـ ضـمـنـ نـطـاقـ الـبـيـتـ وـالـأـسـرـةـ الـزـوـجـةـ الـوـحـيدـةـ الـحـنـونـ وـالـمـضـحـيـةـ وـالـحـرـيـصـةـ ، وـكـانـتـ وـزـيـرـةـ صـدـقـ علىـ الـإـسـلـامـ ، وـكـانـ يـسـكـنـ إـلـيـهـ ، وـبـقـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـسـلـمـ) إـلـىـ آـخـرـ عـمـرـهـ يـكـرمـ مـثـواـهـ ، وـلـاـ يـنـسـيـ سـبـقـهاـ فـيـ الـإـسـلـامـ وـمـاـ تـحـمـلـهـ مـنـ مشـقـةـ وـمـكـابـدـةـ فـيـ سـبـيلـ الـدـينـ ، حـتـىـ قـالـ فـيـهـ : "ـمـاـ أـبـدـلـنـيـ اللهـ خـيـرـاـ مـنـ خـدـيـجـةـ ؛ـ لـقـدـ آـمـنـتـ بـيـ حـيـنـ كـفـرـ بـيـ النـاسـ ، وـصـدـقـتـيـ حـيـنـ كـذـبـيـ النـاسـ ، وـوـاسـتـتـيـ فـيـ مـالـهـاـ حـيـنـ حـرـمـنـيـ النـاسـ ، وـرـزـقـنـيـ اللهـ مـنـهـ أـولـادـاـ"ـ .

أـمـاـ أـبـوـ طـالـبـ فـهـوـ الـذـيـ رـعـىـ النـبـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـسـلـمـ) وـتـوـلـاهـ فـيـ طـفـولـتـهـ وـصـبـاهـ ، وـكـانـ الـذـلـابـ وـالـمـدـافـعـ عـنـهـ فـيـ عـهـدـ رـسـالـتـهـ ، فـكـانـ يـقـفـ كـالـسـدـ الـعـظـيمـ أـمـامـ أـحـقـادـ الـمـشـرـكـينـ وـعـدـوـنـهـ ، وـلـمـاـ ثـوـقـيـ نـالـتـ قـرـيشـ مـنـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـسـلـمـ) ، وـاجـتـرـأـواـ عـلـيـهـ حـتـىـ قـالـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـسـلـمـ) : "ـمـاـ نـالـتـ قـرـيشـ مـنـيـ شـيـئـاـ أـكـرـهـهـ حـتـىـ مـاتـ أـبـوـ طـالـبـ"ـ .

وروى اليعقوبي : "ـلـمـاـ قـيلـ لـرـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـسـلـمـ) :ـ إـنـ أـبـاـ طـالـبـ قـدـ مـاتـ ،ـ عـظـمـ ذـلـكـ فـيـ قـلـبـهـ وـاـشـتـدـ لـهـ جـزـعاـ ،ـ ثـمـ دـخـلـ فـمـسـحـ جـبـيـنـهـ الـأـيـمـنـ أـرـبـعـ مـرـاتـ وـجـبـيـنـهـ الـأـيـسـرـ ثـلـاثـ مـرـاتـ ،ـ ثـمـ قـالـ :